

مختصر قصة الأندلس الجزء الثالث

الكاتب: موقع قصة الإسلام



دولة المرابطين بالأندلس (484-539هـ)

من المرابطون؟ من هؤلاء الذين يهدد بهم ابن عبّاد الفونسو؟

المرابطون هم قبائل ينسبون إلى حمير، وأشهر هذه القبائل لمتونه وجدة وملطة، ومن لمتونه كان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وقد دخلت هذه القبائل المغرب مع موسى بن نصیر، وتوجهوا مع طارق بن زياد إلى طنجة، لكنهم أحبوا الانفراد فدخلوا الصحراء بالمغرب الأقصى واستوطنوها [1].

وفي سنة 448هـ حدث بينهم انبعاث ديني، وانشققت فديهم من يدعوا إلى الجهاد في سبيل الله، وتسمى هؤلاء بالمرابطين، وقد تغلب هؤلاء المرابطون على المنطقة كلها من الجزائر إلى السنغال، وكانوا رجالاً من طابع طارق وأصحابه لا تنقصهم الشجاعة وليس للترف إليهم منفذ، وفي سنة 462هـ آل أمر المرابطين إلى يوسف بن تاشفين وكان رجلاً تقىًا حازماً داهية مجرياً، فمد فتوحه في المغرب الأفريقي حتى دان له جميعه، واختط مدينة مراكش تحت جبال المصامدة، الذين هم أشد أهل المغرب قوة، فكانت مراكش عاصمة لدولة المرابطين ثم ملك سبته وطنجة وأصبح بذلك مطلًا على جنوب الأندلس، ودولته هي أقوى دوله بالمغرب ومن ثم استنجد به أهل الأندلس [2].

السلطان يوسف بن تاشفين أمير المرابطين:

هو أمير المسلمين، السلطان أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمنتوني، ويعرف بأمير المرابطين [3]، وقال عنه ابن الأثير: "أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك المغرب والأندلس، وكان حسن السيرة خيراً عادلاً، يميل إلى أهل العلم

والدين، ويكرمهم ويحکّمهم في بلاده ويصدر عن آرائهم، وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام، وكان إذا وعظه أحدهم خشع عند استماع الموعظة، ولأن قلبه لها، وظهر ذلك عليه" [4].

وقال عنه ابن خلكان: "كان حازماً سائساً للأمور، ضابطاً لمصالح مملكته، مؤثراً لأهل الدين والعلم، كثير المشورة لهم" [5].

معركة الزلاقة

وافق يوسف بن تاشفين على تقديم المساعدة لأهل الأندلس واشترط أن يُمنَح الجزيرة الخضراء لتكون مركزاً لانتلاق جيشه، بعد ذلك عبر يوسف بن تاشفين بجيشه مضيق جبل طارق ونزل في الجزيرة الخضراء فنظم شؤونها وحصنتها، ثم تابع تقدمه باتجاه إشبيلية.

كان ألفونسو السادس آنذاك يحاصر مدينة سرقسطة، وحينما علم بأنباء الزحف الإسلامي، رفع الحصار عنها وأسرع بجيشه نحو جيوش المسلمين من المغاربة والأندلسيين، فالتقى بهم في شمال شرقي بطليوس عند سهل الزلاقة، وهناك دارت بين الطرفين معركة طاحنة في شهر رجب 479هـ أكتوبر عام 1086م، هزم فيها ألفونسو هزيمة شنعاء وجرح في المعركة واضطر إلى التراجع باتجاه الشمال مخلياً إقليم بلنسية.

والحقيقة أن انتصار المسلمين في الزلاقة كان له آثار كبيرة حيث أنقذ العالم الإسلامي في الأندلس من السقوط في يد النصارى، كما ثبت أقدام المرابطين فيها [6].

وبعد هذه المعركة رجع يوسف بن تاشفين إلى المغرب بعد أن ترك حامية مرابطية مكونه من ثلاثة آلاف جندي بقيادة سير بن أبي بكر تساعد القوات

الأندلسية في التصدي للهجمات الإسبانية التي بدأت تشن غاراتها على الأندلس انتقاماً لهزيمتها في الزلاقة [7].

بعد ذلك عاد الأندلسيون إلى سيرتهم الأولى بعد رحيل يوسف بن تاشفين، فاختلفوا فيما بينهم، وضايقوا القوة المغربية التي بقيت في الأندلس لحملها على ترك البلاد، وتجاوز الإسبان بعد عام ذيول هزيمتهم في الزلاقة بعد النجادات التي وفدت عليهم من فرنسا والبابوية فاستأنفوا عملياتهم العسكرية، واختاروا المناطق الأكثر ضعفاً في شرق الأندلس وهي بلنسية ومرسية ولورقة والمرية [8].

ونظراً لخطورة الوضع قرر المعتمد الذهاب بنفسه إلى المغرب لطلب المساعدة من يوسف بن تاشفين، ووافق الزعيم المغربي على العبور مرة ثانية إلى الأندلس لإنقاذها من براثن الخطر النصراني، والسيطرة على ملوك الطوائف فعبر المضيق في عام 481هـ=1088م، واستنفر الأندلسيين للجهاد.

وهاجم المسلمون حصن الليط الذي أقامه ألفونسو السادس، بين مرسيّة ولورقة، بعد معركة الزلاقة، غير أن تجددت الخلافات بين الأندلسيين وبخاصة بين المعتمد صاحب إشبيلية، والمعتصم صاحب المريّة، حال دون فتح الحصن، وعاني يوسف بن تاشفين من هذه الخلافات فقد ثقته بالأندلسيين، وعاد إلى المغرب عام 482هـ=1089م وأخذ يستعد لعزل أمراء الأندلس، وضمها إلى المغرب [9].

ضم الأندلس إلى المغرب

عبر يوسف بن تاشفين المضيق للمرة الثالثة في عام 483هـ=1090م دون طلب استغاثة، فسار مباشرة إلى طليطلة مجتاحاً أراضي قشتالة، لكنه فشل في اقتحامها، ولم يتقدم أحد من الزعماء الأندلسيين لمساعدته، ثم اتجه إلى

غرناطة وبها الأمير عبد الله بن بلکین بن بادیس بن زیری الصنهاجی، فدخلها بعد حصار، وضم مالقة، وقاومه المعتمد بن عباد، وترك ابن تاشفين القيادة لبعض قواهـ الدين استطاعوا الاستيلاء علىـ الكثير من الأراضي الأندلسية.

وـجد المعتمد بن عباد نفسه وحیداً في مواجهة المرابطـين مما جعله يستـتجـدـ بالـفـونـسوـ السـادـسـ،ـ لكنـ المسـاعـدةـ العـسـكـرـيـةـ التـيـ دـفـعـ بـهـاـ إـلـىـ مـيدـانـ القـتـالـ لـقـيـتـ هـزـيمـةـ قـاسـيـةـ فـيـ مـعـرـكـةـ جـرـتـ عـلـىـ مـقـرـبـةـ مـنـ حـصـنـ المـدـورـ،ـ بـعـدـ ذـلـكـ بـفـتـرـةـ وـجيـزةـ تـمـكـنـ الـمـرـابـطـينـ مـنـ دـخـولـ الـمـدـيـنـةـ فـيـ 22ـ مـنـ رـجـبـ 484ـ هـ = سـبـتمـبرـ 1091ـ مـ [10].

ولـمـ يـكـنـ مـنـ الصـعـبـ بـعـدـ سـقـوـطـ إـشـبـيلـيـةـ التـيـ كـانـتـ أـقـوىـ دـوـلـ الطـوـائـفـ أـنـ يـضـمـ الـمـرـابـطـونـ باـقـيـ أـجـزـاءـ الـأـنـدـلـسـ،ـ وـلـمـ يـنـجـحـ بـالـاحـفـاظـ بـاستـقـلـالـهـ سـوـىـ الـمـسـتـعـينـ أـحـمـدـ بـنـ هـوـدـ صـاحـبـ سـرـقـسـطـةـ،ـ وـالـذـيـ كـانـتـ إـمـارـتـهـ بـمـثـابـةـ شـوـكـةـ فـيـ خـاصـرـةـ النـصـارـىـ الشـمـالـيـيـنـ،ـ وـيـبـدـوـ أـنـ يـوـسـفـ بـنـ تـاشـفـيـنـ أـدـرـكـ مـدـىـ أـهـمـيـتـهـ الـعـسـكـرـيـةـ كـخـطـ دـفـاعـ أـوـلـ أـمـامـ النـصـارـىـ،ـ وـفـيـ تـكـوـينـ جـبـهـةـ قـوـيـةـ لـلـوـقـوفـ فـيـ وـجـهـهـمـ،ـ لـذـلـكـ بـقـيـتـ سـرـقـسـطـةـ إـلـمـارـةـ الـوـحـيـدـةـ التـيـ لـمـ يـضـمـهـاـ الـمـرـابـطـونـ،ـ وـعـبـرـ يـوـسـفـ بـنـ تـاشـفـيـنـ فـيـ عـامـ 496ـ هـ = 1102ـ مـ إـلـىـ الـأـنـدـلـسـ لـتـنـظـيمـ شـؤـونـهـاـ إـلـادـارـيـةـ،ـ وـأـضـحـىـ هـذـانـ الـبـلـدـانـ الـمـغـرـبـ وـالـأـنـدـلـسـ يـشـكـلـانـ دـوـلـهـ وـاحـدـةـ عـاصـمـتـهـ مـرـاكـشـ التـيـ بـنـاهـاـ يـوـسـفـ بـنـ تـاشـفـيـنـ [11].

وـقـدـ تـُوـفـيـ يـوـسـفـ بـنـ تـاشـفـيـنـ فـيـ شـهـرـ مـحـرـمـ عـامـ 500ـ هـ = سـبـتمـبرـ 1106ـ مـ تـارـكـاـ لـابـنـهـ أـبـيـ الـحـسـنـ عـلـيـ أـقـوىـ دـوـلـةـ عـرـفـهـاـ الـغـرـبـ إـلـاسـلـامـيـ حتىـ ذـلـكـ الـحـيـنـ [12].

عليـ بـنـ يـوـسـفـ بـنـ تـاشـفـيـنـ:

خلفـ يـوـسـفـ اـبـنـهـ عـلـيـ وـكـانـ فـيـ الـخـامـسـةـ وـالـثـلـاثـيـنـ مـنـ عـمـرـهـ،ـ وـكـانـ قدـ تـدـرـبـ

على شئون الحكم وال الحرب وسياسة الدولة في أيام أبيه، ولهذا فقد سار بأمر دولته سيراً خليلاً إلى الأئم، وسجل اسمه بين عظماء تاريخ المغرب الإسلامي، وكان إلى جانب ذلك شديد التدين حريصاً على الجهاد، من صرفاً إلى الدراسة ومجالسة الفقهاء [13].

واهتم علي بن يوسف بالدفاع عن بلاده وتصدى بشجاعة كبيرة لمحاربة النصارى في الأندلس، فأرسل خيرة رجاله وقواده إلى القتال واستشهد كثيرون منهم في ميدان القتال، وإذا كان أبوه قد كسب موقعة الزلاقة فقد كسب هو معارك أقيش 501هـ = 1116م وافراغة 528هـ = 1134م وفي هذه المعركة الأخيرة لقي ألفونسو المحارب ملك أرغون مصرعه بعد أن طال حكمه وكثراً أذاه للمسلمين [14].

وبينما كان علي بن يوسف يواصل جهوده في المغرب والأندلس بدأ محمد بن تومرت المعروف بمهدى الموحدين دعايته ضد المرابطين واجتهد في تشويه سمعتهم واتهامهم بالمروق عن الدين والتجسيم وما إلى ذلك، وقد نجحت دعايته لأنه توجه بها إلى فريق من البرانس كانوا يتشوّدون بدورهم إلى إنشاء دولة تصاهي ما وصلت إليه قبائل لمتونه ومسوفة وجدة وغيرها من المجموعة الصنهاجية الصحراوية المرابطية [15].

توفي علي بن يوسف سنة 533هـ = 1138م فانتهت بوفاته فترة طويلة من الرخاء واستقرار الأحوال في الأندلس والمغرب، وكان قد تلقب مثل أبيه بلقب أمير المسلمين [16].

محمد بن تومرت:

من قبيلة مصمودة البربرية، ولكنه كان في الأصل من أحفاد العلوين الأدارسة الذين اندمجوا في البربر بعد سقوط دولتهم، فهو عربي الأصل، بريدي النشأة، خرج طالباً للعلم وتأثر بآراء بن حزم، ورحل إلى المشرق فلقي في بغداد أبا بكر الشاشي وأخذ عليه شيئاً من أول الفقه وسمع الحديث على المبارك بن عبد الجبار، ثم عاد فمر بالإسكندرية فحضر مجالس أبي بكر الطروشي، ثم ذهب إلى بلاد المغرب ومنها إلى أغمات، ولحق بالجبل وبدأ في دعوته [17].

أسس عبد الله محمد بن تومرت دعوته على أساس ديني قوامه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أساس قبلي وهو الصراع بين القبائل البربرية، قبيلة لمتونة (المرابطين)، وقبيلة هرغة من مصمودة (الموحدين)، واتخذ محمد بن تومرت حصن (تینملل) مقراً له ولدعوته.

أما المرحلة الثانية لدولة الموحدين فكانت بقيادة عبد المؤمن بن علي 524-543هـ والتي توجت بسقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين [18].

عبد المؤمن بن علي:

هو عبد المؤمن بن علي، سلطان المغرب، لقب بأمير المؤمنين، ذكر ابن العماد في شذرات الذهب أنه كان ملكاً عادلاً، سائساً، عظيم الهيبة، عالي الهمة، متين الديانة، كثير المحسن، قليل المثل، وكان يقرأ كل يوم سبعاً من القرآن العظيم، ويتجنب لبس الحرير وكان يصوم الاثنين والخميس، ويهتم بالجهاد والنظر في الملك كأنما خلق له، ولكنه كان سفاكاً لدماء من خالقه [19] !!

وذلك أمر غريب أن يجتمع التدين الظاهري مع سفك الدماء، ولكن هذه الدولة - دولة الموحدين - كانت دولة فاسدة العقيدة منذ مؤسسها ابن تومرت، ولم

يصلح منها، ويسيّر على منهج الإسلام إلا أبو يعقوب يوسف المنصور بن عبد المؤمن هذا.

عاد مسلمو الأندلس يطلبون النجدة من الموحدين في شمال إفريقيا كما طلبواها من قبل من المرابطين، فأرسل عبد المؤمن جيشاً سنة 539هـ فدخل الأندلس ولم يمض أكثر من خمس سنوات حتى صارت جميع بلاد المسلمين في الأندلس في يد الموحدين، ولكن الموحدين لم يفكروا في أن يجعلوا من الأندلس قاعدة لملوكهم، بل أرسلوا نواباً عنهم يحكمونها باسمهم، وبقيت قاعدة ملوكهم مراكش [20].

تُوفي الخليفة عبد المؤمن في 20 من جمادى الآخرة 558هـ = 25 مايو 1163م، وخلفه ابنه أبو يعقوب يوسف.

أبو يعقوب يوسف المنصور:

يقول فيه ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان "وهو الذي أظهر أبهة ملوكهم ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل ووسط أحكام الناس على حقيقة الشرع ونظر في أمور الدين والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقام الحدود حتى في أهلها وعشيرته الأقربين كما أقامها في سائر الناس أجمعين، فاستقامت الأحوال في أيامه وعظمت الفتوحات" [21].

موقعه الأرك 591هـ

الأرك حصن على بعد عشرين كيلو متراً إلى الشمال الغربي من قلعة رياح، على أحد فروع نهر وادي آنة، وهي نقطة الحدود بين قشتالة والأندلس، في حين تجهّز ألفونسو الثامن ملك قشتالة للقاء الجيش الإسلامي وطلب العون من ملكي ليون وونبارة.

ونظم أبو يوسف يعقوب المنصور جيشه، ودارت المعركة وانتهت يوم الأرك بهزيمة النصارى على نحو مروع، وسقط منهم في القتال ثلاثون ألف قتيل، وغنم المسلمون معسكر الإسبان بجميع ما فيه من المtau والمآل، واقتحموا عقب الموقعة حصن الأرك، وقلعة رياح [22].

نتائج معركة الأرك:

ارتفاع الروح المعنوية لمسلمي الأندلس، وسقوط هيبة ملوك النصارى أمام مسلمي الأندلس، كما جعلت ملوك النصارى يسارعون في عقد المعاهدات مع المسلمين، وإيقاف الحروب والإذعان للشروط التي يضعها الموحدون، وأيضاً من النتائج المهمة أن انصاعت بعض قبائل المغرب التي كانت تفكر في الثورة على الموحدين [23].

المصدر:

موقع قصة الإسلام

الإشارات المرجعية:

١. السابق نفسه ص 397.
٢. فريق البحث والدراسات الإسلامية: الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، تقديم د/ راغب السرجاني 1 / 397.
٣. مجدي فتحي السيد: تاريخ الإسلام والمسلمين في بلاد الأندلس ص 147.
٤. ابن الأثير: الكامل في التاريخ 10 / 417.
٥. وفيات الأعيان 7 / 124.
٦. محمد سهيل طقوش: التاريخ الإسلامي الوجيز ص 257.

٧. عبد القادر قلاتي: الدولة الإسلامية في الأندلس من الميلاد إلى السقوط ص 127.
٨. محمد سهيل طقوش: التاريخ الإسلامي الوجيز ص 258.
٩. السابق نفسه ص 258.
١٠. محمد سهيل طقوش: التاريخ الإسلامي الوجيز ص 259.
١١. السابق نفسه ص 260.
١٢. السابق نفسه ص 260.
١٣. حسين مؤنس موسوعة تاريخ الأندلس 2/78.
١٤. السابق نفسه 2/78.
١٥. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ص 200.
١٦. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس 2/79.
١٧. فريق البحث والدراسات الإسلامية: الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، تقديم د/ راغب السرجاني 1/402.
١٨. عبد القادر قلاتي: الدولة الإسلامية في الأندلس من الميلاد إلى السقوط ص 131.
١٩. ابن العماد : شذرات الذهب 4/182
٢٠. فريق البحث والدراسات الإسلامية: الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، تقديم د/ راغب السرجاني 1/403.
٢١. ابن خلkan : وفيات الأعيان 7/3.
٢٢. د/ علي محمد الصلايبي: إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين ص 133-137.
٢٣. السابق نفسه ص 139.

الكلمات المفتاحية:

#قصة-الأندلس

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.

https://murabet.com